الحمد لله رب العالمين، أعزَّ عباده المؤمنين، ونصرهم على أنفسهم وعلى أعدائهم وأعدائه – عزَّ وجلَّ – في كلِّ وقت وحين. سبحانه .. سبحانه، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله .. وحده لا شريك له، لا راد لفعله، ولا معقب لأمره، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُ الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله. نصره الله عزَّ وجلَّ قبل خلق الخلق، وأعزَّه بجنده وقوته بين الخلق، ودحض به الباطل وأظهر به الحقَّ، وقال في شأنه: ..﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ ﴾ [٤٠التوبة].

اللهم صلى وسلم وبارك على سيِّدنا محمد الذي أقمت به الشريعة السمحاء، والملة العوجاء، وجعلته في هذه الحياة فارقاً بين الحقِّ والباطل، وجعلته في الآخرة شفيعاً لنا وللخلق جمعين. صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وعلى صحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه ومشى على نهجه إلى يوم الدِّين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وجودك يا أكرم الأكرمين.

أيها الأخوة جماعة المؤمنين:

وضع الله عزَّ وجلَّ في قرآنه الكريم قواعد النصر الإلهي، التي لا تتخلف عن أحد من المسلمين إذا أقامها وامتثل لها، وأطاع الله عزَّ وجلَّ، ونفذ ما أمره به فيها!! فهي قواعد لنصر أيِّ طائفة من المؤمنين من الأولين أو الآخرين أو المعاصرين، إذا طبقوها يتولى الله عزَّ وجلَّ نصرهم، لأنها قواعد إلهية مسجلة في خير كلام ربِّ البرية، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وجعل الله عزَّ وجلَّ قاعدة النصر – نصر الإنسان على أعدائه، أو نصر الأُمة

كلها والدولة على مناوئيها، أو نصر أيِّ شعب أو أمة على غيرهم من البشر – جعلها في جملة واحدة، وفي عبارة جامعة، قال فيها الله جلَّ في علاه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [٧محمد]. إن تنصروا الله ينصركم

النصر على النفس

كيف ننصر الله؟!! وهل الله عزَّ وجلَّ يحتاج إلى من يعاونه؟!! حاشا لله جلَّ في علاه!!! وهل الله عزَّ وجلَّ يحتاج إلى من يساعده؟!! حاشا لله جل في علاه، إذاً كيف ننصر الله؟

ننصر الله عزَّ وجلَّ على أنفسنا، فلا نتبع ما تهوى الأنفس وما تميل إليه الأهواء!! وننصر الله بأن نمشي على الشريعة السمحاء التي أنزلها في كتاب الله، والتي أرسل من أجلها لإبلاغها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا قضينا على هذا الأمر، ولم نجعل للنفس علينا سلطاناً، ولم نأتمر بأمر الهوى، ولم نتبع الشهوات الجامحة، والرغبات التي نهى عنها الله، لأن هذه من طلبات النفس، وهي التي تسعى في خلاف الله، وقال فيها الله جلَّ في علاه مبيناً شأنها في عبارة جامعة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [٥٣يوسف]

النفس هي – كل أمر بشرٍّ أو ضُرٍّ أو سوء في داخل الإنسان!!! فإذا أُمِرْتَ في داخلك، أو سمعت نداءاً في باطنك، وأردت تحقيقه بأعضائك وجوارحك وظاهرك، فهو من النفس!

قد تطلب منك النفس أن تغش في الكيل والميزان، وقد تطلب منك النفس أن تكذب في موضع نَهى الله عزَّ وجلَّ فيه عن الكذب وأمر فيه بالصدق، وقد تطلب منك النفس أن تهضم الزوجة حقها! وقد تطلب منك النفس أن تجور على الجار، وقد

تطلب منك النفس أن تورَّث أبناءك وأنت حيٌّ في الدنيا، وتفرِّق بينهم في العطاء، فتعطى لهذا لأنه يتزلف لك، وتمنع هذا لأنه بعيد عنك!! فكل ما تحض عليه النفس هو السوء والفحشاء، وما يخالف شرع الله، وما نَهى عنه حبيب الله ومصطفاه صلوات ربى وتسليماته عليه.

ولذلك مدح الله عزَّ وجلَّ الذين يمتنعون عن تنفيذ أوامر النفس انتصاراً لشرع الله، وينفذون ما أمر به الله وإن كان فيه إغضاب للنفس، لأنه مخالف لها، فقال الله عزَّ وجلَّ في قرآنه الكريم: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [٩، ١٠الشمس].

إقامة الشريعة الغراء

فجعل الله عزَّ وجلَّ للإنسان في نفسه عدواً مبيناً، قال فيه التَّقى النَّقى النبيُّ الرءوف الرحيم صلوات ربى وتسليماته عليه: { لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي يَقْتُلُكَ فَيُدْخِلَكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ لَكَ نُوراً، وَلَكِنْ أَعْدَى الأَعْدَاءِ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ } (الدَّيلمي عن أَبي مالكٍ الأَشعري، والعسكري في الأمثال عن سعيد بن أَبي هلال).

لأنها هي التي تزيِّن للإنسان العصيان، وهى التي تأمره بما نهى عنه الرحمن، وتأمره بالعمل بما يخالف نهج النبيِّ العدنان، وأمرنا النبيُّ وأمرنا الله تعالى بوضوح كامل: أن نخالف النفس، وأن ننصر شرع الله تعالى، وأن نعمل بأمر الله، وأن ننفذ سُنة رسول الله صلوات ربى وتسليماته عليه.

فإذا نصرنا الله – أي: أقمنا شرع الله، وعملنا بما طلبه الله، وقمنا بما كان عليه حبيب الله ومصطفاه – نَصَرنا النصير عزَّ وجلَّ على كل أعدائنا وعلى كل أعداء الله،

وجعل الله عزَّ وجلَّ لنا من كل ضيق فرجاً. وجعل لنا من كل بأساء وشدة مخرجاً، ورزقنا من حيث لا نحتسب، وليس هذا فقط – لأن عطاء الله لا حدَّ له ولا رد – فالله عزَّ وجلَّ جعل الرزق لأهل الأرض جميعاً بالأسباب، إذا سعوا فيها جنوا ثمار السعى، وجعل الرزق للمؤمنين – الذين يقيمون شرع الله، ويتأسون بحبيب الله – يتعدى حدود الأسباب، ويجعله لهم ممتداً بغير حساب. قال فيهم سبحانه: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) [٢، ٣الطلاق]

جعل الله عزَّ وجلَّ لأهل التقوى رزقاً ليس عن طريق الحسابات العقلية الدنيوية، ولكنه عن طريق العطاءات والألطاف الخفيَّة الإلهيَّة. أما بالنسبة للمعايش الدنيوية فإن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد زيادتَها للمؤمنين يضع فيها البركة من عنده عزَّ وجلَّ، وإذا نزلت البركة في الغذاء لا ينفذ الغذاء ولو كان قليلاً – مهما كان الآكلون منه جمعهم كثير. وإذا وضع الله البركة في الثياب لا تبلى أبداً حتى يملَّ لابسُها من لبسها ويتصدق بها على الفقراء، لأن الله عزَّ وجلَّ جعل البركة فيها.

وإذا أنزل الله البركة في الصحة والعافية لا يحتاج المرء إلى دواء، ولا إلى الذهاب للأطباء لأن الله يعافيه ويشفيه – بركةً من الله عزَّ وجلَّ! وإذا أراد الله إنزال البركة في الأولاد جعلهم بررة بأبيهم، ولا يكلفونه الكثير، يجعلهم في الدراسة يفهمون ويفقهون ولو بغير دروس، ويتفوقون ولو بقليل من النظر في الدروس والكتب.

كل هذا لماذا؟!! لأن الله عزَّ وجلَّ إذا أنزل البركات جعل كلَّ شئ في زيادة!! وهذا ما قال الله عزَّ وجلَّ فيه لنا أجمعين: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ) [٩٦الأعراف].

والبركة زيادة في الخيرات على نفس المقادير التي معنا!!! ولكنها بركات معنويَّة لا تلحظها العين الحسيَّة!! يقول فيها خير البرية صلى الله عليه وسلم: { طَعَامُ الْوَاحِدِ

يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ } (صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه)

أما بالنسبة للأعداء – إن كانوا حاقدين، أو حاسدين، أو محاربين – فإنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا نصر العبد شرعه وقام بأوامر دينه، وتابع النبيَّ صلى الله عليه وسلم في هديه وسنته – يورِّثه ما أعطاه للحبيب. وقد كان صلى الله عليه وسلم كما يقول فيه الإمام عليّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه: { مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ } (سنن الترمذي عن على رضي الله عنه) ورَّثه الله عزَّ وجلَّ الهيبة! فكان كل من رآه – ولو من بعيد – يهاب أن يقترب منه!! ويخاف أن يؤذيه، بل يخاف أن يشير إليه!! حتى أن المؤمنين أنفسهم كانوا يهابونه هيبة شديدة!!!!

جاءته امرأة لحاجة وهو في عرض الطريق، فقال لها: يا أمة الله اجلسي في أي ناحية من نواحي الطريق أجلس إليك، فاهتزت المرأة من هيبته، وارتجت وسقطت على الأرض من هيبته، فقال لها صلى الله عليه وسلم مُهَوناً: { هَوِّنْي عَلَيْكَ فَإِنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَديدَ في هذِهِ الْبَطْحاءِ } (المستدرك عن عبد الله بن جرير) – والقديد هو اللحم المجفف، وكان لا يأكله إلا الفقراء!!.

ولما حضر عمرو بن العاص الوفاة – وهو القائد الفذ المحنك – قال لابنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لقد حدثت أمور أريد أن أحكيها لك، آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حربه، وما كان أحد أحب إلَيَّ منه، وكنت أتمنى أن يقبضني الله عزَّ وجلَّ على ذلك الحال، مع أني ما استطعت أن أنظر إليه ببصري قط من شدة هيبته!! فعمرو بن العاص القائد الفذُّ لم يستطع عمره مع رسول الله أن يثبت بصره في وجهه الشريف من شدة هيبة رسول الله!!

هذه الهيبة كانت تُلقى الرعب في قلوب أعدائه، حتى الذين بينه وبينهم مسيرة

شهر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: { نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسيرَةَ شَهرٍ } (صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه) {ونص الحديث: (أُعْطِيتُ خَمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسيرَةَ شَهرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجِداً وطَهوراً، فأَيُّما رَجُلٍ من أُمَّتي أدرَكَتْهُ الصلاةُ فلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغانمُ ولم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وأُعْطِيتُ الشفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّة) }.

وكذلك العبد المؤمن الذي يتوكل على مولاه، ويعمل مقتفياً أثر حبيب الله ومصطفاه، ويمتلئ قلبه بالخوف والهيبة من حضرة الله، فإن الله عزَّ وجلَّ يُلقي الهيبة منه على جميع أعدائه، فلا يستطيعون أن يكيدوا له، أو يدبروا شرًّا له، ولو حدث ودبَّروا له شراً أو حاكوا له ضرًّا فيصدر عليهم قرار رب العالمين: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [٣٠الأنفال]

فمن أراد أن يتولاه الله بنصرته، وأن يجعله مرهوب الجانب طوال حياته الدنيوية، ويجعله مكللاً بتاج البهاء في الدار الأخروية: فعليه أن ينصر شرع الله ويعمل به في حياته، لا يعمل أمراً يخالف شرع الله ولو في القليل، فإن القليل عند الله عزَّ وجلَّ كثير! لا يستصغر أمراً لأنه ربما حقَّر أمراً فنظر إليه الله عزَّ وجلَّ وهو يفعل عملاً يُغضبه، فيسخط عليه الله عزَّ وجلَّ سخطاً لا يعقبه بعده رضا أبداً إلا إذا تاب إلى الله عزَّ وجلَّ توبة نصوحا.

قال صلى الله عليه وسلم: { يا غُلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ. تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً} (مسند الإمام أحمد والبيان والتعريف عن ابن عباس رضي الله عنهم)

أو كما قال، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة

مراجعة النفس

الحمد لله رب العالمين، الذي أحيانا بكتابه وقرآنه وبالإيمان به، وجعلنا من عباده المسلمين. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له، يحقُّ الحقَّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُ الله ورسوله، الصادق الوعد الأمين. اللهم صلى وسلم وبارك على سيِّدنا محمد وارزقنا هداه، ووفقنا للعمل بشرعه وحسن إتباع هديه يا الله، آمين .. آمين يا ربَّ العالمين.

أيها الأخوة جماعة المؤمنين:

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون أجمعين على هذه القاعدة الإيمانية .. مراجعة النفس ومحاسبتها! .. فكان الرجل منهم إذا تعقد له أمر في حياته، أو إذا تعذر له الحصول على أمر يريده، أو تعذر له الوصول إلى نصر يريد تحقيقه، أو أبطأ عليه رزقٌ يستعجل وُرُودَهُ، يراجع نفسه ويحاسبها!، لأنه يعلم أنه إنما أوتى من قِبَلِه، فلو كان ماشياً على المنهج القويم، وعلى منهج الرءوف الرحيم، فإن عناية الله عزَّ وجلَّ لا تتخلف عنه طرفة عين ولا أقل.

حتى قال رجل منهم: (إني لأعرف حالي مع الله من خُلق زوجتي، ومن تَشَامُسِ دابتي). أي إذا رأى زوجته في يوم من الأيام وقد تغيرت معاملتها معه، وكانت معاملة غير مرضية يعلم أنه قصَّر في الطاعات مع رب البرية عزَّ وجلَّ، وهذا مؤشر له ونذير له ليصحح حاله!! وإذا أراد أن يركب دابته فلم تقف بهدوء أمامه، واستعصت على الركوب، يراجع ما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ. هذا في أمورهم الخاصة، وكذا في أمورهم العامة.

حاصر عمرو بن العاص رضي الله عنه حصن بابليون وهى القاهرة الآن، واستمر

الحصار ستة أشهر ولم يستطيعوا دخول الحصن! وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عوَّدهم الله كان لا يُبطئ عليهم النصر، ما هي إلا كرَّة من صباح أو من مساء ويأتي نصر الله عزَّ وجلَّ لهم وعليهم، لأنهم مؤيدين بنصر الله جل في علاه.

وكان سلاحهم الأساسي هو الذي أرسل به عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حيث قال له في جملة قصيرة موجزة قوية ومعبرة: (يا سعد مُرْ الجُنْدَ بطاعة الله، وانَهَهُمْ عن معصية الله)! فإن الأعداء أقوى منا عدداً وسلاحاً ومدداً، فلو عصى الجند الله تساووا معهم في المعصية، فكانت الغلبة لهم لأنهم أكثر عدداً وأقوى مدداً، وإذا أطعنا الله دخلنا في قول الله: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [٢٤٩البقرة]

فلما أبطأ فتح الحصن على عمرو بن العاص والذين معه، جلس مع كبار القادة يتباحثون، وقالوا لبعضهم: ما الذي تركناه من فرائض الله؟ فوجدوا أنهم لم يتركوا شيئاً من الفرائض!! فراجعوا أنفسهم وقالوا: ما الذي تركناه من سنن رسول الله؟ وأخذوا يتناقشون ويذكِّر بعضهم بعضاً حتى تنبهوا وقالوا: تركنا السواك الذي قال فيه النبيُّ الكريم: { لأَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بِسِوَاكٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ } (رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما) وقال فيه: { لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ } (صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)

فأمروا الجند باستخدام السواك، فنظر الأعداء من على سور الحصن فقالوا لبعضهم: لقد جاءهم جند يأكلون الخشب!!! أو يجعلون أسنانهم حادة ليأكلوكم!!! وإذا كنا لا طاقة لنا بحرب هؤلاء، فكيف نحارب من يأكلون الخشب؟!! يا قوم استسلموا وسلِّموا لهم!! فاستسلم أهل الحصن بمجرد أن رجعوا إلى سُنة رسول الله،

واستخدموا السواك الذي سَنَّهُ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فحافظوا على فرائض الله يحفظكم الله، وحافظوا على سنن رسول الله ينصركم الله دائماً وأبداً، ويجعل أمركم مرفوعاً ودعاءكم مجاباً، وكل أموركم كما تريدون، لأنه قال في قرآنه: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [٧محمد]

اللهم انصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، وأعنَّا على العمل بشريعتك، وعلى القيام بسنة خير بريَّتك، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل زاهقاً وهالكاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم حبِّب إلينا عمل الطاعات، وفعل الخيرات، واستباق الصالحات، واحفظنا بحفظك وأبناءنا وبناتنا وزوجاتنا من المعاصي والمخالفات، وأقبل علينا بإجابة الدعاء في كل الأوقات.

اللهم لا تتخلَّى عنا بعنايتك ورعايتك طرفة عين ولا أقل، وانصرنا على أعدائنا وأعدائك وأعداء الدِّين، وانصرنا على اليهود ومن عاونهم ومالأهم أجمعين يا خير الناصرين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك قريب مجيب الدعوات يا ربَّ العالمين.

اللهم ولِّي أمورنا خيارنا، ولا تولي أمورنا شرارنا، وأصلح أئمتنا وحكامنا، وأصلح حكام المسلمين أجمعين، واجعلهم بشرعك عاملين، وبسنة حبيبك صلي الله عليه وسلم آخذين.

عباد الله: اتقوا الله، ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠النحل).

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

****